تعقيب « على مقال » :

جو جزيرة العرب[1]

للاستاذ البحاثة الدكتور رفيق التميمي العذر حينما يسمي وادي « الحمض » بوادي « الحمث » كما للمرحوم البستاني صاحب « دائرة المعارف » العذر حينما يسمي « ضرَمَى » البلدة المعروفة في نجد — « ذو رَمَى » . إذ تيارُ « التعريب » الجارف ، والثقة بأقوال أولئك « المتعربين » الذين هم سندُ ذينك الجهبذين الفاضلين ، ورواج مؤلفاتهم ، مع قلة « المعاجم » العربية الصرفة المنحصة ، — أمورٌ مبرّرة .

ولي العذر ، حينما أعقب على قول الدكتور التميمي ، بكلمة قصيرة عن « مرابع » صباي ، و « مراتع » قومي ، سندي فيها المشاهدة ، وان كنت مزجى البضاعة في الاطلاع على آراء « المستشرقين ، المتعربين » ، معدومها في علم « الجيولوجيا » .

١ — من أهم أودية « جزيرة العرب » وادٍ عظيم يسمى « العقيق » على كثرة « الاعقة » . له ذكر كثير في الشعر القديم ، وفي كتب التاريخ والأدب ، يمتد من قرب بلدة « الطائف » ويتجه محاذياً للسلسلة الجبلية « الحجاز » فاصلا بينها وبين سهول « نجد » مارًّا « بالمدينة المنورة » من الجهة الشرقية . حتى يعبُ في « البحر الأحمر » ، جنوب « بلدة الوجه » . ويختلف نبات ذلك الوادي باختلاف الأراضي التي يمر بها ، وبقرب منبعه يكثر فيه شجر الرمث والأشجار التي من فصيلته ، و « الرّمث » شجر تحمض بأكله الابل ، اذا أكثرت من رعي العشب وأشجار « الغضاه » . ولذلك يسميه العرب — هو وكل أشجار تلك الفصيلة — « الحمض » . ويسمون جزء ذلك الوادي — لاكله — الذي يكثر فيه ذلك النبات « وادي الحمض » بالضاد المعجمة ، التي اختصت بها « لغة الضاد » . لا بالثاء كما ورد في مقال الأستاذ التميمي . وفي كتاب الدكتور

(١) المقتطف المجلد الثاني من المجلد الخامس بعد المائة ص ١٢٠ يوليو ١٩٤٤

اسرائيل ولفنسون « اليهود في جزيرة العرب » رسم لذلك الوادي يدلُّ على تحقيق ، وسعة اطلاع .

٢ — ومن الأودية العظيمة في « الجزيرة » وادي « الرمة » الذي تنحدر فروعه في الزمن الحاضر — وفي الأزمان السحيقة في القدم ، من الجبال والحرار (جمع حرَّة) الواقعة شرقي «المدينة المنورة» لا شرقي « مكة » كما قال الدكتور التميمي ، وإذا صحَّ قوله انه يتجه نحو الشرق — وذلك صحيح — فهو يصبُّ في « الخليج الفارسي ، وآثار مصبه — قبل أن تحجزه رمال الدهناء — باقية مشاهدة في هذا العهد ، ولا يصب في « بحر عمان » . ولولا أن الدكتور فرَّق بين البحرين فأورد الاسمين قاصداً بذلك التغاير ، لقلنا انه أراد ببحر عمان الخليج الفارسي ، ثم ان « السومريين » — على رأي الدكتور — كانوا يسكنون في جهات ما بين النهرين ، فكيف مدينتاهم « أور » و « أدريدو » بقرب بحر عمان ؟ ! .

مع أن قوله بعد ذلك : ان وادي الدواسر يلتحق بوادي « الرمة » بالقرب من شواطئ خليج البصرة ، مع قوله السابق الذي أشرنا اليه فيهما شيء من التناقض — ان لم يصح أن يقال إنه أراد بحراً واحداً سماه بعدة أسماء ! ! .

٣ — وإذا صح أن مجرى وادي الدواسر « بحذف الياء » كان مجرى لنهر عظيم ، فمن البديهي أن الأثر الباقي في العصر الحاضر للوادي المسمى بهذا الاسم هو أثر مجرى ذلك النهر في الزمن الغابر — واذن فهو يصب في بحر « عمان » — بعد اختراقه السهل الرملي الخالي قبل تكون رماله ، متجهاً الى الجنوب الشرقي ، لا الى الشمال ، اذ سلسلة جبال « طويق » والجبال الواقعة بوسط نجد تحجز بينه وبين الاتجاه الى الشمال والاتصال بوادي الرمة

ومن المسلم به أن علم طبقات الارض وتكوينها « الجيولوجيا » يقرر ان الانهار تكونت بعد الجبال . من الوجهة العامة ، لا في الحالات الاستثنائية . كما انه من المسلم به أيضاً أن ذلك العلم تعتمد أصوله وتبنى نتائجه على المشاهدة ، والاستدلال بالظواهر والتغيرات الارضية الباقية . وحسبي أن أقول ما علمت .

الطائف

عمر بن محمد آل باسر

قاضي ينبع — بغا